المحاضرة رقم13: القيم ووسائل الاعلام .

اهداف المحاضرة:
- التعرف على علاقة وسائل الاعلام بالقيم.
- الاحاطة بمختلف النظريات التي تفسر طبيعة العلاقة بين القيم ووسائل الاعلام.
- الاجابة عن سؤال ماذا تفعل وسائل الاعلام بالقيم؟.

الأطر المرجعية لتفسير دور وسائل الإعلام في بناء صورة الثقافة

تقدم نظريات التأثير الخاصة بوسائل الإعلام العديد من المداخل النظرية التي تفسر دور وسائل الإعلام فيتعزيز او تثبيت او تحييد قيم بعينها ، وفي هذا الإطار سيتم التركيز على نظرية الغرس الثقافي بوصفها أكثر النظريات تعمقا في فهم آليات التأثير الثقافي والرمزي الذي تمارسه الصورة التلفزيونية، إضافة إلى نظرية الحتمية القيمية .

1. الغرس الثقافي وتغيير القيم.

تعد نظرية الغرس الثقافي إحدى النظريات التي ارتبطت بتكنولوجيا الاتصال والمعلومات والتي جاءت في السبعينيات من القرن الماضي لدراسة تأثيرات وسائل الإعلام التراكمية الطويلة المدى على الجمهور ذلك أن الغرس يشير إلى تقارب إدراك جمهور التلفزيون للواقع الاجتماعي والتشكيل الطويل المدى لتلك الإدراكات والمعتقدات عن العالم نتيجة للتعرض لوسائل الإعلام وليس لدراسة الآثار المستهدفة والمحددة لوسائل الإعلام. إن الأساس الذي تقوم عليه نظرية الغرس الثقافي هو قياس الآثار طويلة المدى التي تتركها وسائل الإعلام خاصة التلفزيون على المتلقين عند تعرضهم لمضمون معين ولمديات تعرض طويلة.

إن أصول نظرية الغرس الثقافي حسب ملفين دي فليرmelvin defler تعود إلى مفهوم الصور الذهنية لـ والتر ليبمان Walter L'ipman والتي ظهرت لأول مرة في مؤلفه: الرأي العام المنشور سنة 1922 والذي استعرض فيه أمثلة عديدة حول أن الصفات الحقيقية للعالم غالبا مالا تكون لها علاقة بالمعتقدات التي يؤمن بها الناس حول هذا العالم المحيط بنا، كما ناقش الكتاب كيف أن التفسيرات التي تقدمها الصحف عن الأحداث تستطيع أن تغير بشكل كبير تفسيرات الناس عن الواقع وبالتالي تغير أيضا نماذج تصرفاتهم حيال هذا الواقع.

استنتج ليبمان من خلال العديد من الأمثلة التي قدمها في مؤلفه أن الناس يتصرفون ليس على أساس ما يحدث أو ما قد وقع فعلا، ولكن على أساس ما يعتقدون أنه الموقف الحقيقي وهذا الموقف حصلوا عليه من الصور التي قدمتها لهم الصحافة وهي معان وتفسيرات ليس لها في الغالب سوى نصيب محدود مما حدث فعلا.

لم يضع "ليبمان" اسما لنظريته ولكن من الواضح أنها نظرية لتركيب المعنى تركز على تأثير الحقيقة كما تقدمها وسائل الإعلام وهي متسقة تماما مع نموذج المعنى. إن الأهمية النظرية لهذا الطرح تعود إلى أنها واحدة من البيانات الأولى عن دور وسائل الاتصال الجماهيرية في تركيب المعاني التي تعتبر أساسا لتصرف الإنسان وهكذا فإن طرح ليبمان عن الكيفية التي يحصل بها الناس على المعرفة من وسائل الإعلام يشير إلى وظيفة الصحافة في تركيب المعنى.

ضمن سياق تركيب المعنى وضع جورج غربنرgeorge gerbner نظريته التي ترى أن المشاهدين بمعدل غزير تكون معتقداتهم وآرائهم مماثلة لتلك التي صورت على التفزيون بدلا من العالم الحقيقي، ما يدل على أثر مركب من تأثير وسائل الإعلام لتؤكد أن التلفاز يصنع لمشاهديه على المدى الطويل واقعا خاصا

مختلفا عن الواقع الحقيقي وأن المشاهدين بحكم التصاقهم ببرامجه يصدقون هذا الواقع ويتعاملون معه باعتباره حقيقة.

يعتقد غاربنر احد اهم بناة اتجاه القيم ان المشاهدة المكثفة للوسيلة تفضي ال غرس وصقل قيم بعينها لد المتلقي، ويعرف هذا التوجه بمفهوم الرعاية والتعهد فالمشاهدة المكثفة تخلق في ذهنية المتلقي صورة انطباعية كنتاج للمضمون المصتع وسائليا. ومن الاتجاهات التصورية الراهنة في هذا الصدد مايعرف بمنظور المعنى ويتعلق هذا المنظور بالطرائق التي تخلق الوسيلة من خلالها للمجتمع صورته الذاتية فالوسيلة من هذا المنظور تتلاعب بمفهوم الافراد لعالمهم الحقيقي من خلال خلقها وتصنيعها لرموز خاصة بها، فالوسيلة في هذا السياق تغذي المجتمع بصورة ذهنية عن كيانه الواقعي بواسطة الرموز الخاصة بها. ان الوسيلة في هذا السياق تغذي المجتمع بصورة ذهنية عن كيانه الواقعي بواسطة الرموز التي تحاول تمريرها في رؤوس الجمهور المتلقي وتغذيتها بإستمرار بهدف تأصيلها كحقيقة معايشة مجتمعيا. ومن خلال المشاهدة المكثفة والمتابعة الدائمة والتغذية المتواصلة من جانب الوسيلة لهذه الرموز يجري خلق عالم رمزي جديد للمجتمع.

2.4.3.4. تعزيز وتحييد القيم وبناء صورة الثقافة.

تطرح نظرية الحتمية القيمية ضمن مفاهيمها التي تربط بين وسائل الإعلام والثقافة، مفهوم تعزيز القيم وتحييدها كمفتاح لفهم طبيعة التأثيرات الثقافية التي تمارسها وسائل الإعلام وفهم كيفية خلقها للصور الذهنية والنمطية الخاصة بالثقافة، على هذا الأساس تحكم علاقة المضامين الإعلامية بالثقافة آليتين هما:

- تعزيز القيم: يرتبط التعزيز بتثبيت مواقف الفرد السابقة وإعطائها ألفة إضافية وقد لعب مفهوم التعزيز دورا أساسيا في فهم تأثيرات وسائل الاتصال في المجتمع وقد عالج بول لازار سفيلد paul lazarsfeld هذا الموضوع في دراساته الميدانية وأشار في مقولته المعروفة إلى أن "وسائل الاتصال لا تغير آراء الناس ومواقفهم بقدر ما تعمل على تدعيم هذه الأخيرة "ويرتبط هذا الطرح بافتراض أن العامل الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية أساس تكوين الآراء والمواقف وأن الإعلام الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية أساس تكوين الآراء والمواقف، وأن الإعلام يبني على ذلك ويعزز ما أنتجته العلاقات الاجتماعية إن عملية التعزيز مشروطة بتوافق العاملين الاجتماعي والإعلامي فيكون الإعلامي داعما للاجتماعي أما إذا كان الإعلامي غير متكامل مع الاجتماعي فإن التأثير قد يكون عكسيا بمعنى أن الجمهور يظل متمسكا بمنظومته القيمية وينزع المصداقية في تعامله مع وسائل الاتصال.
- تحييد القيم: يقصد بتحييد القيم إبعادها كعوامل مؤثرة ويتجسد ذلك من خلال تغييب القيم في المضامين الإعلامية والترفيهية بالأخص، إذ لا تخضع هذه الأخيرة لنظام القيم وإنما تبنى على مبدأ ما يمكن تسويقه وإذا أخذنا بعين الاعتبار دور وسائل الإعلام في بناء وهيكلة أذواق الجمهور فإن عملية استثناء القيم في المحتويات تكون دائرية، فوسائل الإعلام والاتصال تنتج ما يرغب به الجمهور والجمهور يرتبط بوسائل الاتصال التي تحقق له رغباته وقد أدى ذلك إلى انتشار محتويات العنف والجنس وغيرهما في المضامين الإعلامية خاصة ذات البعد التجاري.

تعتبر نظرية الحتمية القيمية لصاحبها عزي عبد الرحمن وليدة ثلاثة روافد أساسية وهي: التراث، الإعلام والفكر الفلسفي والاجتماعي المعاصر. إن مفاهيم نظرية الحتمية القيمية إنما هي وليدة الحضارة الإسلامية ببعدها الديني كما أن التأسيس الذي تقوم عليه هذه النظرية مصدره ثنائية الأنا والآخر بمعنى أنها تجمع بين منظومة مفاهيم هي داخل الظاهرة - قطيعة مع مفاهيم السياق الإعلامي الحالي المجسد والموروث في معظمها عن أدبيات غربية نتيجة الاحتكاك بين المنظومة الأكاديمية الإعلامية الاجتماعية العربية مع المنظومة الغربية- بمعنى الوعي بالمشكلة من داخلها، ومفاهيم هي من خارج الظاهرة تجاوزا للخطاب الإسلامي الإعلامي الذي يؤسس للظاهرة الإعلامية بمفاهيم من الداخل في غياب شبه تام لمفاهيم خارج

الوعي بالمشكلة، إن هذه الازدواجية المفاهيمية وفق عزي عبد الرحمن هي وحدها الكفيلة بتوفير رؤية ملائمة للظاهرة الإعلامية.

إن أية محاولة للإحاطة بمدلول نظرية الحتمية القيمية، تبقى قاصرة بسبب المفاهيم التي تطرحها هذه النظرية ووحدات التحليل التي تعتمد عليها ولكن طرح المفاهيم التي تعتمد عليها هذه النظرية يسمح على الأقل بتبيان مقاربتها لوسائل الإعلام والاتصال في علاقتها بظاهرة الثقافة والسياقات الاجتماعية التي توجد فيها.

يشير عزي عبد الرحمن إلى ظاهرة العولمة في علاقتها بظاهرة تكنولوجيا الاتصال بقوله "ينذر تفجر الظاهرة المعلوماتية الاتصالية بتقلص ثقافات إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية والعالم الإسلامي وانحصارها في شكل كيانات فلكلورية هشة لا مكانة لها في المسار التاريخي والبناء الحضاري... وتنذر هذه الثورة الاتصالية التي لم تعد تتقيد بعوائق الوقت والجغرافية بتحول العالم إلى ما أسماه ماكلوهان إلى وحدة قبلية أو قرية واحدة"، وردت هذه العبارة سنة 1989 بمعنى التنبؤ والاستشراف آنذاك بالمدلول الضمني للعولمة كما تنبأ مارشال ماكلوهان marshal mc luhan في الستينيات بمدلولها التقني والكوني.

يحتل الزمن بوصفه وحدة للتحليل حيزا مهما ضمن نظرية الحتمية القيمية، حيث تعتبر الزمن الإعلامي المجال الوقتي المرتبط بوتيرة ومضمون محتويات وسائل الإعلام والاتصال وحركية وسائل الإعلام في مضمونها حركية زمنية، في نهاية المطاف يعد استعمال وسائل الإعلام استعمالا للوقت، إن الزمن الإعلامي المعاصر تنصهر فيه الأزمنة الآتية: زمن القراءة، زمن الاستماع، زمن المشاهدة، وزمن التصفح أو الإبحار، وهي كلها أزمنة إعلامية تتنافس فيما بينها حتى تحتل مكانة لائقة لدى الفرد المستخدم ويتضح كافتراض أولي أن زمن المشاهدة التلفزيونية وزمن الإبحار في شبكة الانترنت يعملان تدريجيا في القضاء على الأزمنة الأخرى: القراءة والاستماع.

يعمل الزمن الإعلامي بصفة عامة على تصوير مظاهر الحياة فهو بذلك يقوم بتشكيل وإعادة تشكيل الزمن الاجتماعي بأسلوب رمزي، إن الاجتماعي ينعكس رمزيا في السلوك نتيجة الإقبال المتزايد على ثقافة هذه الوسائل ويعتبر الزمن القيمي هو الأساس وتتفرع عن هذا الزمن أزمنة فرعية أخرى، حيث يبقى هو الأصل والمرجع في نفس الوقت ولأن الأزمنة تتنوع فهي تتداخل فيما بينها فنجد الزمن الديني في تناحر مع الزمن اللاديني والزمن الأصيل في صدام مع الزمن الدخيل والزمن الإعلامي ومدى تعبيره عن الزمن الاجتماعي للمكان الإعلامي دور في تحليل علاقة وسائل الإعلام بالثقافة حيث تعمل وسائل الإعلام والاتصال كالتلفزيون والسينما والمجلات والصحف والانترنت على تكوين أنماط من الصور المكانية التي تكون خارج دائرة الواقع المعاش للفرد، فتدخل عليه مكانا رمزيا متباعدا ومألوفا مع كثرة الاعتماد على هذه الوسائل يقول عزي عبد الرحمن "إن كثرة استخدام وسائل الإعلام وخاصة التلفزيون والانترنت يؤدي إلى نوع من الاغتراب عن المكان المعايش والمتعلق بالمكان المألوف الجديد الذي تعرضه هذه الوسائل في صورة الأفلام و المسلسلات والإعلانات العامة فالمكان الإعلامي هو مكان رمزي متشابه في بعض الأحيان تصوره وسائل الإعلام في الضمير الجمعي ويتم تكريسه كنوع من العولمة المكانية، كما ان التلفزيون يحدث فوضى في المكان الاجتماعي من خلال القفز فوق الأمكنة التي لا ترتبط بحزام من الدلائل القيمية إضافة إلى ذلك كله تكراره لنموذج أحادي احتكاري من المكان.

إضافة إلى العناصر السابقة يضيف عزي عبد الرحمن عنف اللسان كجزء من نظريته، في هذا المستوى فإن الأصل في اللغة احتواء القيمة ونقلها كما دلت الكتب السماوية أن في اللغة وعاء يحوي أسمى ما يمكن أن يتعلق به الفرد من معان، في البداية كانت الكلمة الدخيلة وهي ما أدخله الأفراد المتحدثون من

ألفاظ أو تعابير مستحدثة وذلك تعبير لغة أخرى تم إدخالها ايجابيا أو سلبيا على اللغة الأصيلة تبعا لحالات فردية أو اجتماعية أو تاريخية معينة، ويعني ذلك أن العنف اللساني ظاهرة دخيلة نسبيا على اللغة وإن كانت أصبحت طرفا في اللغة بفعل التداخل بين اللغة وفعل الكلام خاصة مع تراجع مكانة اللغة تاريخيا وانتشار الحديث كظاهرة صوتية سادت مع الثقافة الشفوية وتوسع وسائل الإعلام الحديثة. إن ظاهرة العنف اللساني والإعلامي جزء من الواقع المعايش في المنطقة العربية حديثا، ويمكن أن نلاحظ ذلك في تدني نوعية الخطاب اليومي الذي ينتجه الأفراد أو الجماعات، إضافة إلى انحدار الكثير من محتويات الوسائل المسموعة والمرئية إلى مستوى مخاطبة الغرائز والنزعات الاستهلاكية سعيا وراء المكسب المادي وتقليد الموضة السائدة في الإعلام الدولي وخاصة الغربي يترتب عن ذلك كله أن تتراجع اللغة كغارس ومحرك للقيمة، وتصبح اللغة مجرد وسيلة كلام فيتمكن المتكلم من نسخ ما ستتفوه به، ويصاب المتلقي بخيبة أمل من ضحالة ما يتعرض له إن كان في الاتصال الذاتي أو وسائل الإعلام، فاللغة بقيمتها الممثلة لثقافة أو حضارة متميزة ومتى تراجعت أو تلاشت القيمة لم تعد اللغة أداة ثقافة أو حضارة وإنما أصوات لتحقيق بعض المنافع ليس إلا.

للرأسمال الرمزي مكانة كوسيلة لفهم العلاقة بين الإعلام والثقافة واتجاهات التأثير في المنطقة العربية وفق عزي عبد الرحمن يتشكل الرأسمال الرمزي في المنطقة العربية على المستويات الآتية:

- الفضائيات الترفيهية.
- الفضائيات الإخبارية شبه المستقلة.
- المحطات التلفزيونية الأرضية الحكومية.

قد يبدو هذا المشهد متنوعا في الظاهر إلا أنه يعكس خطابا تتوزع فيه الأدوار حسب الهدف والفئة المستهدفة فالفضائيات الترفيهية من نوع واحد وإن تعددت أسماء القنوات خطابها يؤدي أدوارا اجتماعية غير وظيفية، ومنها تحييد القيمة وإزالة صفة الممنوعات الثقافية إضافة إلى مهمة الإلهاء، كما أن الخطاب الإخباري المعروض رغم جاذبيته وحرفيته يحمل إيديولوجية محايدة، ذلك أن اللغة الإخبارية بحكم تكرارها والنبرة التي تحملها قد تم تحييدها ومعروف إعلاميا أن كثرة التعرض لنفس الشيء يؤدي إلى فقدان الإحساس عبر الزمن، لقد أضحى الرأسمال الرمزي في المنطقة العربية ساحة استقطاب وتنافس لم يسبق له مثيل وقلما نجد له مثيلا في المناطق الأخرى من العالم، ويكون مرد هذا الاستهداف محاولة تغيير ثقافة المجتمع بما يخدم أهدافا ومصالح استراتيجية بعيدة المدى بما في ذلك إخراج المنطقة من دائرة الفعالية الحضارية المستقلة إلى دائرة التبعية والهامشية.